جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

تناولُ الشعراءِ المحدثينَ لقضيةِ الفقرِ (حافظ إبراهيم، ومحمد المهدي المجذوب نموذجاً)

الدكتور

صالح شعيب صالح عبد الرحمن

أستاذ الأدب والنقد المساعد ـ قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب بمحايل عسير ـ جامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

(شكر وتقدير)

(الباحث يود شكر

جامعة الملك خالد

على الدعم الإداري والفني

لهذا البحث)

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

٢٠٣٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

تناولُ الشعراءِ المحدثينَ لقضيةِ الفقرِ
(حافظ إبراهيم، ومحمد المهدي المجذوب نموذجاً)

صالح شعيب صالح عبد الرحمن

قسم اللغة العربية ـ كلية العلوم والآداب بمحايل عسير ـ جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: Ebnshaeb@yahoo.com

الملخص

جاء هذا البحثُ تحت عنوان: (تناولُ الشعراءِ المحدثينَ لقضيةِ الفقرِ ـ حافظ إبراهيم، ومحمد المهدي المجذوب نموذجاً) وقدْ هَدَفَ البحثُ إلى دراسةِ قضيةِ الفقرِ من خلالِ قصائدِ حافظ إبراهيم ومحمد المهدي المجذوب، والتعرف على كيفية تناولهما له من ناحية أدبية، وأقتضى البحثُ تقسيمه إلى المبحث الأول: التعريف بالفقر، والمبحث الثاني: التعريف بالعصرِ الحديث، والمبحث الثالث: السيرة الذاتية للشاعر حافظ إبراهيم، والمبحث الرابع: السيرة الذاتية للشاعر محمد المهدي المجذوب، المبحث الخامس: قضية الفقرِ في شعر حافظ إبراهيم، والمبحث السادس: قضية الفقرِ في شعرِ محمد المهدي المجذوب، وتم التوصلُ إلى نتائجَ أبرزها أن الشاعرين حافظ والمجذوب اتصفا بالعاطفة الجياشة والإحساس النبيل وأنهما عاشا الفقر ومعاناته، وهذا جعلهما مؤهلين لتناول هذا القضية، فتناول حافظ مشكلة الغلاء ووضح أسبابها وحض على حلها وصور حال الفقراء وآمالهم لا سيما الأطفال منهم، بينما تناول المجذوب الفقر مدفوعاً بانشغاله بالناس فصور حياة الفقراء بصور واقعية عديدة، وذلك بكلمة رصينة وأسلوب بديع وخيال واسع.

الكلمات المفتاحية : الفقر ، حافظ ، المجذوب ، الشعراء المحدثون ، الشعر العربي ، الشعر الحديث .

Modern poets dealt with the issue of poverty - Hafez Ibrahim, and Muhammad Al-Mahdi Al-Majzoub as a model

Saleh Shuaib Saleh Abdul Rahman
Department of Arabic Language - College of Science and Arts in Mahayil Asir - King Khalid University - Kingdom of Saudi Arabia
Email: Ebnshaeb@yahoo.com

Abstract

This research came under the title: (Modern poets dealt with the issue of poverty - Hafez Ibrahim, and Muhammad Al-Mahdi Al-Majzoub as a model) The research aimed to study the issue of poverty through the poems of Hafiz Ibrahim and Muhammad Al-Mahdi Al-Majzoub, and to identify how they dealt with it from a literary point of view, and the research required to be divide into the topics: The first: the definition of poverty, and the second topic: the definition of the modern era, and the third topic: the biography of the poet Hafez Ibrahim, and the fourth topic: the biography of the poet Muhammad Al-Mahdi Al-Majzoub, the fifth topic: the issue of poverty in the poetry, of Hafez Ibrahim. And the sixth topic: The issue of poverty in the poetry of Muhammad Al-Mahdi Al-Majzoub, and results were reached, most notably that the two poets Hafez and Al-Majzoub were characterized by the overwhelming passion and noble feeling and that they lived poverty and its suffering, and this made them qualified to address this issue. Especially the children among them, while the Majzoub dealt with poverty driven by his preoccupation with people, depicting the lives of the poor in many realistic ways, with a solid word, exquisite style and wide imagination.

Keywords: **Poverty, Hafez, Majzoub, Modern Poets, Arabic Poetry, Modern Poetry.**

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الشعرُ وسيلةٌ للتعبيرِ عن الأحاسيسِ الإنسانيّةِ، والقضايا المجتمعيّةِ، وهو أداةٌ لنقلِ التَجاربِ والخبراتِ، وهو وثيقةٌ لتدوينِ التاريخِ والأحداثِ، وقدْ أفادتِ الأجيالُ أيما إفادةٍ، وانتفعتِ الشعوبُ أيما انتفاعٍ مِنْ رواياتِ الأشعارِ ونقولاتِهِ. ومِنَ القضايا المؤثرةِ في المجتمعاتِ أعظمَ تأثيرٍ، قضيةُ الفقرِ، ولأنّها كذلكَ فقدْ كَثُرَ تناولُ الشعراءِ لها قديماً وحديثاً، وقدْ جاءَ تناولُهم لها مِنْ زوايا مختلفةٍ، فتمَّ تناولُها مِن زاويةٍ دينيةٍ، وفلسفيّةٍ، ونفسيّةٍ، ومجتمعيّةٍ، ولعظمِ تأثيرِ قضيةِ الفقرِ في المجتمعاتِ، ولدورِ الشعرِ المتعاظمِ في معالجةِ القضايا المجتمعيّةِ، فقد عملتُ على إخراجِ هذه الدراسةِ للعلنِ، واخترتُ الشعرَ العربيّ الحديثَ؛ لاتصالِهِ بواقعِنا، ولمساسِهِ بحاضرِنا، ووقعَ اختياري على حافظ إبراهيم ومحمد المهدي المجذوب؛ لبراعتِهما في الشعرِ، ولجودتِهما في النظمِ، ولخبرتِهما في الحياةِ، ولأنهما يمثلانِ رمزينِ مِنْ رموزِ مدرسةِ الإحياءِ في الأدبِ العربيِّ الحديثِ، والدراساتُ الأدبيّةُ تكتسبُ أهميتَها مِنْ مكانةِ مَن تُجرى حولَهم. وقضيةُ الفقرِ شغلتْ حافظ إبراهيم ومحمد المهدي المجذوب، نظراً للظروفِ المعيشيّةِ التي عانى منها المجتمعُ العربيُّ. وتناولتُ الشاعرَ حافظ إبراهيم الذي تميزَ بحسِهِ الإنسانيِّ العالي وحبِهِ لمشاركةِ الشعبِ في أحزانِهِ ومعاناتِهِ، وكان تناولُهُ للفقرِ فلسفياً، ودعا لمواجهةِ الفقرِ والتغلبِ عليهِ، وحثَّ الأنظمةَ والمجتمعاتِ على القيامِ بدورِها، ثمَّ تناولتُ الشاعرَ محمد المهدي المجذوب الذي يُعلنُ انحيازَهُ للمساكينِ والفقراءِ مِنْ خلالِ شعرِهِ، وتَعَامَلَ مَعَ الفقرِ تعاملاً روحانياً إيمانياً، يشيعُ في النفوسِ أنّ الفقرَ ابتلاءٌ يجبُ الصبرُ عليهِ ومدافعتُهُ بِطَرْقِ أبوابِ الكسبِ الحلالِ.

أهميةُ البحثِ:

تكمنُ أهميةُ هذا البحثِ في إلقاءِ الضوءِ على قضيةِ الفقرِ وتصويرِ حالِ الفقراءِ وإبرازِ أثرِ هذهِ الآفةِ الاجتماعيةِ على تقدمِ الأمةِ العربيةِ.

أهدافُ البحثِ:

(١) دراسةُ قضيةِ الفقرِ من خلالِ قصائدِ حافظ إبراهيم ومحمد المهدي المجذوب .

(٢) التعرفُ على أسبابِ الفقرِ.

(٣) تهدفُ الدراسةُ إلى إيجادِ الحلولِ لقضيةِ الفقرِ.

منهجُ البحثِ:

المنهجُ المتبعُ لكتابةِ هذا البحثِ هو المنهجُ الوصفيُّ والتحليليُّ والتاريخيُّ.

هيكلُ البحثِ :

يتكونُ البحثُ من مقدمةٍ وستةِ مباحثَ، هي:

المبحثُ الأولُ: التعريفُ بالفقرِ.

المبحثُ الثاني: التعريفُ بالعصرِ الحديثِ .

المبحثُ الثالثُ: السيرةُ الذاتيةُ للشاعرِ حافظ إبراهيم .

المبحثُ الرابعُ: السيرةُ الذاتيةُ للشاعرِ محمد المهدي المجذوب .

المبحثُ الخامسُ: قضيةُ الفقرِ في شعرِ حافظ إبراهيم .

المبحثُ السادسُ: قضيةُ الفقرِ في شعرِ محمد المهدي المجذوب .

وخُتمتُ البحثَ بخاتمةٍ بينتُ فيها النتائجَ والتوصياتِ، ثمّ المصادرَ والمراجعَ، وفهرس الموضوعات .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحثُ الأولُ

التعريفُ بالفقرِ

الفقر لغة: جاء من مادة فقر، بمعنى الافتقار إلى الشيء أي العوز إليه والاحتياج له، فنقول هذا فقيرٌ أي أصبح محتاجاً ومفتقراً لضرورات الحياة الأساسية(١)، أما اصطلاحاً فقد ورد في قاموس علم الاجتماع، الفقرُ هو مستوى معيشي منخفض لا يفي بالاحتياجات الصحية والمعنوية المتصلة بالاحترام الذاتي لفرد أو مجموعة أفراد، وينظر إلى هذا المصطلح نظرةً نسبيةً نظراً لارتباطه بمستوى المعيشة العام في المجتمع وبتوزيع الثروة ونسق المكانة والتوقعات الاجتماعية (٢).

تتعدد وتتنوع أسباب عوامل الفقر في المجتمعات العربية منها أسباب سياسية، حيث قام الاستعمار بدورٍ بارزٍ في تفقير الدول النامية باستنزاف ثرواتها وخيراتها. وأيضاً أسباب اقتصادية منها على سبيل المثال لا الحصر، عدم استغلال الموارد والإمكانات الطبيعية، وسوء توزيع الثروات القومية، وتفشي البطالة بين فئات الشباب. وأخيراً أسباب اجتماعية متمثلة في الأوضاع البيئية المتدهورة في الأرياف، والتفاوت في توزيع الدخل بين فئات المجتمع المختلفة، والحرمان والتهميش لبعض فئات المجتمع.

وقضيةُ الفقرِ مِنْ أهم القضايا التي شغلتْ شعراءَنا في العصرِ الحديثِ، والفقرُ قضيةٌ اجتماعيّةٌ تعني عدمَ قدرةِ الإنسانِ على تحقيق الحدَّ الأدنى مِنْ متطلباتِهِ واحتياجاتِهِ الأساسيّةِ اليوميّةِ، مثلُ الطعامِ والمسكن والملبس والرعاية الصحية وفرص التعليم. (والسوادُ الأعظم من الأمةِ العربيةِ في فقرٍ مدقعٍ وقد تخلفت عدة مشكلات اجتماعية نتيجة هذا التفاوت

بين الطبقات، فازداد الغني غنى، والفقير فقراً)[٣] والفقر يؤدي إلى التسول والتشرد وارتكاب الجرائم، ومن أوضح المشكلات الاجتماعية، الأطفال المشردون، لذلك كثُرَ الاهتمام بهؤلاء الأطفال الذين يعدون قذى في عين الأمة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحثُ الثاني

التعريفُ بالعصر الحديث

يُقصدُ بالعصرِ الحديثِ كلُّ شعرٍ عربيٍّ كُتبَ بعدَ النهضةِ العربيةِ، وهو يختلفُ عن الشعرِ القديمِ في أساليبِهِ ومضامينِهِ، وفي بنيتِه الفنيةِ والموسيقيةِ، وفي أغراضِهِ وموضوعاتِهِ، واستطاعَ الشعرُ العربيُّ الحديثُ منذُ نهايةِ القرنِ التاسعَ عشرَ حتى اليومِ أنّ يكوّنَ صورةً لعصرِهِ ومرآةً لأصحابِهِ موضوعاً وفناً.

ودأب الباحثون المعاصرون على التماس الأسباب التي أدت إلى بزوغ النهضة في هذا العصر، والحقيقة أنه ليس من السهل تحديد أسباب بعينها لذلك، إنما هناك عوامل متعددة أفرزتها المرحلة التاريخية وأشاعت مناخاً عاماً مهد لظهور أعمال أدبية عبرت عن انعطافة جديدة في تاريخ الأدب العربي وعكست ــ إلى حد ما ــ الأوضاع الحضارية الجديدة[٤]، ومن هذه العوامل:

أولاً: لابد لكل نهضة من مرتكز تراثي تتكئ عليه، والعودة إلى عصر نقاء الجنس والعصر الذهبي لأي أمة من الأمم هما الأساس للنهوض، وفي عصر النهضة الحديثة عاد الشعراء والكُتاب العرب إلى العصر الجاهلي والعباسي فاستلهموا النماذج الرفيعة فيهما ونسجوا على منوالها.

ثانياً: هناك عوامل أفرزها التقدم العلمي والتقني كالطباعة ودورها في إحياء التراث [٥].

ثالثاً: تنوعت اتجاهات الشعر، وتحددت مذاهبه، وهذه الاتجاهات الشعرية قامت بدور بارز في تطور الشعر العربي وهي مدارس فنية أطلق عليها النقاد والدارسون تسميات خاصة مثل مدرسة الإحياء، والديوان الرومانسية أو مدرسة أبولو والمدرسة الحديثة. واستطاع البارودي رائد مدرسة الإحياء، بل رائد الشعر الحديث أن ينقذ الشعر العربي من عثرة الأساليب الركيكة، وأن يرجع بالشعر إلى صياغته الطبيعية الحرة التي تستمد جمالها من جزالة الأسلوب ورصانته وأُعجب بذلك الشباب الناشئ من الشعراء وعلى رأسهم شوقي وحافظ [٦]، هذان الشاعران هما خير من اضطلع بهذه النهضة التي بدأها البارودي.

واستطاعت مدرسة الإحياء أن توائم بين الذوق الجديد وبين المحافظة على أصول الفن الشعري المتوارث عن العرب، ومن أهم ما أتت به هذه المدرسة، طرق موضوعات جديدة لم تكن مطروقة من قبل، وكذلك ربط الشعر بالمجتمع من طريق معالجته لمشكلاته وتصويره لآلامه وآماله [٧]. ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت مصر منارة للعلم ومنبراً للأدب العربي بعد أن تربع على عرش الأدب فيها أدباء وشعراء كثيرون أمثال البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم وغيرهما، حيث كان لهؤلاء فضل كبير في هذا المجال بإحياء الأدب العربي ونهضته وشمول هذه النهضة الأدبية العالم العربي كله [٨].

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحثُ الثالثُ

السيرةُ الذاتيةُ للشاعر حافظ إبراهيم

ولدَ الشاعرُ حافظ إبراهيم سنة ١٨٧٢م[٩] في أسرة مصرية فقيرة[١٠]، وتلقى تعليمَهُ في الكُتاب ثمَّ في المدرسةِ الابتدائيةِ والثانويةِ قبلَ أنْ يدخلَ المدرسةَ الحربيةَ ليتخرجَ فيها برتبةِ ملازمٍ ثانٍ. وعاش في السودان حوالي سنتين أثناء خدمته بالجيش، وعُين رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب وظل بها إلى أن أُحيل إلى المعاش سنة ١٩٣٢م[١١]. ويُعدُّ حافظ إبراهيم مِنْ روادِ النهضةِ الأدبيّةِ والفكريّةِ بِمِصرَ، وهو رائد من رواد الاتجاه الشعبي الذي يعني الارتباط بالأمة ومشكلاتها وقضاياها، لذا كانت النزعة الاجتماعية غالبة على شعره، وظل على صلة وطيدة ببيئته المتواضعة وهمومها. وهناك جملة من العوامل أثرت في شعره من أهمها حفظه كثيراً من الشعر القديم ومجالسته لشيوخ اللغة والأدب، واتصاله ببيئات مختلفة، وكان يعيش في بيئة الأدباء مختلفي الأهواء والمشارب لذلك عرف بشعره السياسي الصاخب في هذه الفترة وبالشعر الاجتماعي[١٢]، وعامل آخر له أثره الكبير في حياته ألا وهو الحياة التي عاشها، فقد عاش للشعب ومع الشعب يحس آلامه، فالبيئة التي عاشها حافظ والتي كان له ارتباطانِ بها ارتباطهُ بالطبقات المتوسطة والفقيرة من الشعب وارتباطه بالطبقات الممتازة، فهذه البيئة جعلت منه شاعراً لامعاً لإحاطته بهذه الطبقات وتصويره لها تصويراً دقيقاً يلاحظ من قصائده المتناثرة[١٣]. وقد لُقبَ بشاعر النيل لشدة ارتباطه بمصر وما في شعره من قصائد تعبر عن ثورتها الشعبية ضد الإنجليز، فهو يتهم الاستعمار بالمسؤولية عن فقر المصريين

في حين أنه استولى على خيرات مصر وبنهبها دونما حساب[١٤] . وحافظ إبراهيم لم ينشر كثيراً مما نظمه في الأحداث السياسية خشية أن يطرد من عمله ويحرم من قوته، ومن هنا كان ديوانه لا يشتمل على جميع ما نظمه؛ لأن القدر لم يمهله بعد خروجه إلى المعاش[١٥]، وصدرَ ديوانُهُ في جزأينِ بعدَ وفاتِهِ سنةَ ١٩٣٧م. ومن آراء الأدباء في شعر حافظ ، كتب الناقد عبد الوهاب حمودة قائلاً: (حافظ إبراهيم شاعر العاطفة، إنه شاعر رقيق النفس عميق التأثر، امتزج بالطبقة الممتازة من الشعب التي تشعر شعوراً عميقاً بآلام الأمة، وكان على الرغم مما قاساه من بؤس ومرارة، حاضر النكتة خفيف، وهذا كله انعكس على شعوره فكان شعره عاطفياً مع خبرة بآلام الناس ومواطن بؤسهم)[١٦]. وكتب عنه الأديب طاهر الطناحي: (وهو – أي حافظ – بحكم هذه النشأة الشقية المكافحة قد تحدد المعسكر الذي يقف فيه، فانثني راجعاً إلى معسكر الشعب يصور بؤسه وأحزانه وآماله)[١٧].

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحثُ الرابعُ

السيرةُ الذاتيّةُ للشاعرِ محمد المهدي المجذوب

محمد المهدي المجذوب شاعرٌ سودانيٌّ ولد في مطلع ١٩١٨م في شمال السودان بمدينة الدامر وعمه الشاعر العالم عبد الله الطيب المجذوب ورفيق دربه وصباه[١٨]، وبدأ تعليمَهُ بالخلوةِ فتعلمَ مبادئ النحوِ واللغةِ على يدِ والدِهِ، وتخرجَ في كليةِ غردون. أما حياة المجذوب العملية فقد عُينَ محاسباً داخل وطنه بحكومة السودان وعمله هذا اكسبه صفة التجوال داخل وطنه، وقد تعرف على طبيعة أهل وطنه وعاداتهم وتقاليدهم، ومن أخصب سنواته الشعرية هي فترة جنوب السودان. ولقد لقي المجذوب في مكتبة والده ما أعانه كثيراً على تملك اللغة العربية وأدبها فقرأ ابن عقيل والمعلقات والجيد من الشعر قديمه وحديثه، كما أن ترتيل القرآن وبجانب ديوان الشيخ المجذوب – جد الشاعر– أكسبت المجذوب رصانة وجودة وصحة تراكيب. وقد فطن القدماء إلى أثر الحفظ من جيد الشعر على ملكة الشاعر وتكوينه الأدبي، فيقول ابن خلدون: (لعمل الشعر وأحكام صناعته شروطاً، أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب)[١٩]. ومن آراء النقاد في شعر المجذوب ، كتب الناقد حسن أبشر الطيب في كتابه قائلاً :(شاعر يحتضن الكلمات ويبثها شوقه وحنينه ويغذيها عميق وجده، كلماته حُبلى معطاه).[٢٠] وكتب عنه صلاح الدين المليك في كتابه قائلاً: (أحب بلاده بنيلها ورملها وزهرها حباً صور له وطنه فجراً صافياً مسفراً، إنه حب أساسه إعجاب قوي بمظاهر الطبيعة في

موطنه) [٢١]. أما النقاد العرب فقد كتب الناقد عبده بدوي عنه قائلاً: (يعتبر محمد المهدي المجذوب من الشعراء الأوائل الذين يشكلوا الملامح الحقيقية للشعر السوداني الحديث)[٢٢]. وكتب الناقد محمد مصطفى هدارة عنه قائلاً: (لم يلتزم المجذوب بقضية وطنه السودان فحسب ولكنه التزم بقضايا وطنه العربي الكبير أيضاً)[٢٣]. وقد ترك المجذوب دواوينه الستة وهي (نار المجاذيب) و(البشارة القربان الخروج) و(الشرافة والهجرة) و(تلك الأشياء) و(منابر) و(شحاذ في الخرطوم) وكانت وفاته في الثالث من مارس عام ١٩٨٢م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحثُ الخامسُ

قضيةُ الفقرِ في شعرِ حافظ إبراهيم

ارتبطتْ مشكلةُ الفقرِ عندَ حافظ إبراهيم بمشكلةِ الغلاءِ، فتناولَ هذه المشكلةَ توضيحاً لأسبابِها، وحضاً على محاربتِها، حيث بات مسح الحذاء أمراً عظيماً في قوله:

أَيُّها المُصلِحونَ ضاقَ بِنا العَيـ ... ـشُ وَلَم تُحسِنوا عَلَيهِ القِياما
عَزَّتِ السِلعَةُ الذَليلَةُ حَتّى ... باتَ مَسحُ الحِذاءِ خَطباً جُساما
وَغَدا القوتُ في يَدِ الناسِ كَاليا ... قوتِ حَتّى نَوى الفَقيرُ الصِياما
وَيَخالُ الرَغيفَ في البُعدِ بَدراً ... وَيَظُنُّ اللُحومَ صَيداً حَراما[٢٤].

وكان حافظ إبراهيم أدق تصويراً للفقر والفقراء، فهو رجل ذاق مرارة الحرمان وعاش طوال عمره قريباً من طبقات الشعب المحرومة، فيقول على لسان يتيم آوته إحدى الجمعيات الخيرية:

قَضَّيْتُ عَهْدَ حداثتِي ... ما بينَ ذُلٍ واغترابْ
لَم يُغنِ عَنّي بَينَ مَشْـ ... ـرِقِهَا ومغْرِبِهَا اضطرابْ
صَفِرَتْ يَدِي فحَوَى لها ... رأسِي وجَوفِي والوِطابْ
وأنا ابنُ عَشْرٍ ليس في ... طَوقِي مُكافحةُ الصِّعابْ
لمْ يبقَ منْ أهلِي سِوَى ... ذِكْرٍ تَناساهُ الصِّحابْ
أَمْشِي يُرَنِّحُني الأَسَى ... والبؤسُ ترنيحَ الشَّرابْ[٢٥].

وعالم الشاعر حافظ يتناقض تناقضاً تاماً مع عالم الارستقراطية المسيطرة آنذاك، فهو بين عالم يحتضنه، وهو شاعر الملايين وعالم الكلام الهامس والخطو اللامس والإشارة الرفيعة(٢٦)، وعبر عن ذلك بمشاعر الجماهير وخاصة الفقيرة منها بشعره؛ لأنه يصور حالهم وآمالهم، فيقول منوهاً بفضل الزكاة لمن يستحقها:

لو وَفَى بِالزَّكاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنـ ... ـيَا وَأَهْوَى عَلى اقتِناءِ الحُطامِ
ما شَكا الجوعَ مُعدَمٌ أَو تَصَدَّى ... لِرُكوبِ الشُرورِ وَالآثامِ
راكِبًا رَأسَهُ طَريدًا شَريدًا ... لا يُبالي بِشِرْعَةٍ أَو ذِمَامِ
سائلاً عنْ وصيةِ اللهِ فيهِ ... آخذاً قوتَهُ بِحدِّ الحُسَامِ(٢٧).

ويقف حافظ إبراهيم مع الأطفال في هذا البؤس والشقاء وله في فتح المدارس والجامعة القديمة وإنشاء الملاجي شعر كثير، كقوله في رعاية الطفولة:

أنقذوا الطفل إن في شقوة الطف ... ل شقاء لنا على كل حال
أنقذوه فربما كان فيه ... مصلح أو مغامر لا يبالي
شاع بؤس الأطفال، والبؤس، داء ... لو أتيح الطبيب غير عضال(٢٨)

عاش الشاعر حافظ إبراهيم في السودان، وفي هذه الفترة عبر عن معاناته من الفقر وما تجرعه من كؤوس الحرمان، معبراً عن ذلك برسائل إلى أصدقائه قائلاً:

ولكنّي مُقَيّدَةٌ رِحَالِي ... بقَيدِ العُدمِ في وادي الهُمومِ
نَزَحتُ عن الدّيارِ أرُومُ رِزقي ... وأضرِبُ في المهامِهِ والتُّخُومِ(٢٩)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في هذين البيتين يقول: بأن مطاياه مقيدة بقيد الفقر في وادي الهموم والأحزان وهو بعيد عن دياره طلباً للرزق. وقد مزج حافظ بين النزعة الوطنية والفقر عندما ثار ضد الاستعمار الإنجليزي وكَثُر إلحاحه على وحدة مصر والسودان، ورأى في الإنجليز المصدر الوحيد لشقاء المصريين والسودانيين، فهو يتهم الاستعمار بالمسؤولية عن فقر المصريين في حين أنه استولى على خيرات مصر ونهبها، قائلاً:

متى أرى النيل لا تحلو موارده ... لغير مُرْتَهِنٍ لله مرتقب

فقد غدت مصر في حالٍ إذا ذكرت ... جادت جفوني لها باللؤلؤ الرطِبِ

أيشتكي الفقرَ غادينا ورائحنا ... ونحن نمشي على أرضٍ من الذهب[٣٠]

وصور حافظ حال المصريين وهم يعانون من الغلاء والمعيشة القاسية، حتى أنهم أصبحوا يفضلون الموت على الحياة؛ لأنهم لا يستطيعون أن يوفروا أقل شيء ممكن أن يوفره الإنسان وهو قوت يومه[٣١] قائلاً:

يردُ الواغلُ الغريبُ فيروى ... وبنوك الكرامُ تشكوا الأواما

وأغيثوا من الغلاء نفوساً ... قد تمنت من الغلاءِ الحماما

ويشير الشاعر حافظ إبراهيم إلى الأمة العربية أن يستيقظوا من غفلتهم متمنياً لهم حل مشكلاتهم وتحسين أوضاعهم بقوله:

متى أرى الشرق أدناه وأبعده ... عن مطمع الغربِ فيه غيرَ وسنانِ[٣٢]

ويعلن دائماً على أنه شاعر فقير وعاش فقيرا:

وَهَل أَنا إِلّا اِمرُؤٌ شاعِرٌ ... كَثيرُ الأَماني قَليلُ النَشَب[٣٣]

ويتضرعُ الشاعرُ إلى الله إذ قلَّ رزقه وخيره ويرضى بقوت دون قوت النعام في قوله:

نَحنُ نَرضَى بالقُوتِ من هذه الدُنـ ... يا وإنْ بَات دُون قُوتِ النَّعَامِ

وإنْ خَانَ قِسمُـــنا مـا شَكَـــونا ... لِسِـــوَى الله أعْدَلِ القُسّـــام(٣٤)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحثُ السادسُ

قضيةُ الفقرِ في شعر محمد المهدي المجذوب

يقولُ محمد المهدي المجذوب: (اهتمامي بالناسِ شغلٌ يشغلُني عن نفسي، وفيَّا ضعفٌ ملازمٌ هو اشفاقي على الآخرين، أما قضيةُ القضايا عندي فهي البحث عن إنسانٍ سوي) [٣٥]. هكذا يقدمُ المجذوبُ نفسَهُ شاعراً ذا رؤية موضوعية معلناً انحيازه للمساكين والبسطاء. ولقد صوّر المجذوب النشال بصورة عميقة فهو يراه إنساناً معذباً جائعاً تسبب المجتمعُ بقسوته وظلمه في انحرافه ، فقال:

يَجُـوعُ فلا يُبْصِـرُ
وشَهْوَتهُ اخْتَلجَتْ أعْيُنا
وفي كُلِّ عَيْنٍ فَمٌ يَنْظُرُ[٣٦]

*****

وغيبةُ الجُوعُ في سَكْرةٍ
تُصَوِّرُ لُقْمَته المُشْتهاة موائد تَضْحَكُ بالطيِّبَاتْ
سَنَابِلُ تُضْمِرُها حَبَّةُ
ولكنَّها في مَوَاتْ[٣٧]

وتفاعل المجذوب مع فقراء الأطفال فوصف حالهم وآلامهم وأوجاعهم التي هي أوجاع الوطن، فبدأ بوصف البؤس الذي يعيشه الشاعر أولاً ثم يعبر عنه بأبياتٍ يصورُ فيها حال الأطفال وهزالهم:

يَزورُ أُسرتي السَّـــقمْ فَأَسْقَمُ

وأَجرَعُ الغُمومَ والهُمومَ والكَدَرْ

وأُدْمنُ السَّـــــهَـــــــرْ

وملءُ دارَنا الذُّبابُ والتُّرَابُ والقَدَرْ(٣٨)

* * * * * *

وأعْـــيُن الصِّـــغَـــارِ لا تـــرى

وأعْيُن الصِّـــغَـــارِ في مَذَابِحِ الرَّمَـدْ

بَكيتُ في الـدُّجـى من الكَمَـدْ

وفي حشَـــاي أعْيُن الصِّـــغَـــارْ(٣٩)

واستطاع الشاعر المجذوب أن يمزج بين قضية الفقر والنزعة الوطنية من خلال المساكن المليئة بالفقر والبؤس في قوله :

مـــالي جَنَاحُ ينفُضُ الوَطنْ

وليس لي وطَـــنْ

إلاَّ المحَال والجنُونُ والقُيودْ (٤٠)

وربط أيضاً بين الصراع الاجتماعي والسياسي، فلم تكن حياة البؤس التي يعيشها هؤلاء الفقراء إلا من جشع وظلم أصحاب القصور الذين لا يحسون بكل ما يعانيه الفقراء من مرض وفقر وكأنما "الذبابة" التي تسكن في منازل الفقراء وبراثنهم لا تعرف هذه القصور ولا تطوف بقربها بقوله:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أَلَمْ تَطفْ بِقصرك المضُوَّء المُنيرْ

ذبابةٌ من مـــوكبِ البـعـــيـــرْ

تَـحْـمِـــلُ مـن أنْبَـــائِنا الكثيرْ(٤١)

وفي قصيدة "بائعة الكسرة" تناول المجذوب قضية الفقر بعمق وهـــو ناقد اجتماعي يطرح رؤيته للمستقبل الذي يحل بديلاً عن الحاضر، فـــيعكس نضال الإنسان البسيط المنافح من أجل استرداد حقه فـــي الحيـــاة بالعمـــل الشريف، ويعبر عن هذا الفهم السامي النبيل بقوله:

مَلأتِ صَحْني كَدْحاً كمْ شقيتِ به وتَرقُبِينَ جَميلَ الشَّكْرِ من شبَعِي (٤٢)

ويردد هذا المعنى في العديد من قصائده، ففـــي قصـــيدته " ماســـح الأحذية " يقول:

عَمَلٌ كاسبٌ ويتمٌ ولا يـــدري وأدري وضاعَ يومُ الحسابِ

لم أجدْ راحةً وعاتبتُ نفسي في حياءٍ وما يُفيدُ عِتابي(٤٣)

أما قصيدته " شحاذ في الخرطوم " والتي تدور على هيئة حوار بينه وبين شحاذ واقف عند باب البنك والمجذوب يتعاطف معـــه، ومظهـــر هـــذه القروش التي يعطيها للشحاذ قرشاً بعد قرش:

ووقفَ الشَّحاذُ في يدْيهِ صرخةٌ وقرعةٌ وطمعٌ منكسرُ الأنفاسْ

دموعُهُ العمياءُ لم يسُجِّلوا غناءَها الجَميلْ

اللهُ ربُّنا كريم ! تَصدَّقوا عليَّ أهلَ الخيْرِ مما قَسم الكريمُ يا كريمُ يا كريمْ (٤٤)

ومن روائع شعره قصيدته التي تحدث فيها عن معاناة الموظف يوم صرف الماهية حينما يقف الموظفون إلى الصراف لصرف مرتباتهم واصفاً حالهم، فيصل بنا حداً يتحسرُ فيه أحدُنا على أنه أضاع وقتهُ ، ولو أنه عمل عملاً مثل بيع المش لكان خيراً له من الوظيفة في فقال:

قبضنا ولم نقبضْ وعشنا ولم نَعِشْ ... وتعجبُ مني السوقُ أشري بلا نقدِ

أُجورٌ ألفناها وودٌ مُكـــــــدَّرٌ ... وحمدٌ لربِ الناسِ أشبهُ بالجُحْدِ

فَليْتني بعتُ المِشَ في الحي كاسباً ... واعليتُ مِنْ أطلاقِهِ شُرَفَ المجدِ

عجبتُ لنفسي كيف أصبحتُ جالساً ... إلى مكتبٍ أُبلي شبابيَ في الجَرْدِ(٤٥)

وعلى هذا النحو كان المجذوب يشعر بما يشعر به شعبه شعوراً دقيقاً؛ لأن نفسه كانت سودانية خالصة، واستطاع أن يصوغ هذا الشعور في لغة جزلة متينة باهرة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة :

جاء هذا البحثُ تحت عنوان: (تناولُ الشعراءِ المحدثينَ لقضيةِ الفقرِ ــ حافظ إبراهيم، ومحمد المهدي المجذوب نموذجاً) ووُضعتْ له أهدافٌ تتمثلُ في دراسةُ قضيةِ الفقرِ من خلالِ قصائدِ حافظ إبراهيم ومحمد المهدي المجذوب وفي إعطاءِ تعريفٍ بالفقرِ، وإيجادِ الحلولِ لقضيةِ الفقرِ، وتم تناول هذا الموضوع في ستة مباحث ، وبعد ذلك كله تم التوصلُ إلى نتائجَ أبرزها:

(١) إن الشاعرين حافظ والمجذوب اتصفا بالعاطفة الجياشة والإحساس النبيل وأنهما عاشا الفقر ومعاناته، وهذا جعلهما مؤهلين لتناول هذا القضية.

(٢) تناول حافظ مشكلة الغلاء ووضح أسبابها وحض على حلها وصور حال الفقراء وآمالهم لا سيما الأطفال منهم، بينما تناول المجذوب الفقر مدفوعاً بانشغاله بالناس فصور حياة الفقراء بصور واقعية عديدة، وذلك بكلمة رصينة وأسلوب بديع وخيال واسع.

التوصية:

الشاعرُ المجذوب له إنتاجٌ أدبيٌ ثرٌ كماً وكيفاً ومع ذلك لم يُكتشفْ ولم يلقَ حظهُ من الانتشار ، فأُوصي بإقامة دراساتٍ أدبيةٍ وموضوعيةٍ وبلاغيةٍ في إنتاج هذا الشاعر الأدبي .

الهوامش:

١/ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ،ط الثالثة ١٩٤٩م ، ص٣٦١

٢/ قاموس علم الاجتماع : محمد عاطف غيث ، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر،١٩٧٩م ص٣٤١ــــــ٣٤٢

٣/ في الأدب الحديث: عمر الدسوقي ، دار الفكر العربي ، ج١ ، ط١ ، ص١٨٧ــــــ١٨٨

٤/ الأدب العربي الحديث مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه : د. محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل ، ط السابعة ، ص٢٩

٥/ المرجع السابق : ص٣١

٦/ الأدب العربي المعاصر في مصر: د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط السادسة ، ص٤٦

٧/ الأدب الحديث تاريخ ودراسات : محمد بن سعد بن حسين، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، ج ١ ، ط السادسة، ص٩٥

٨/ الرثاء عند حافظ إبراهيم : منصور بن عبد العزيز الخضيري، الرياض ١٤١٤ه ، ط١، ص٨

٩/ ديوان حافظ إبراهيم : حافظ إبراهيم ، ضبط أحمد أمين، وأحمد الزين، إبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة، ط الثالثة ١٩٨٧م، ص١٣

١٠/ حافظ وشوقي : د. طه حسين، مكتبة الخانجي، مصر، ط الثالثة ١٩٥٥م، ص١١٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١١/ عقود الجمان شعر وشعراء : يحيي بن عبد الله المعلمي ، دار المعلم للنشر ،١٤١٤هـ ، ج ٣، ص٢٨

١٢/ الأدب العربي الحديث مدارسه وفنونه وتطوره : ص٩٤ـــ٩٥

١٣/ الرثاء عند حافظ إبراهيم : ص٢٥

١٤/ مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث : د. إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط الأولى ١٤٢٤هـ ، ص٧٢ـــــ٧٣

١٥/ الأدب العربي المعاصر في مصر : ص ١٠٣

١٦/ تاريخ الشعر العربي الحديث : أحمد قبش ، (د، ت) ص٨٦

١٧/ جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث : عبد العزيز الدسوقي ، المكتبة العربية للتأليف، مصر، ١٩٧١م، ص ٦٥

١٨/ مقدمة ديوان نار المجاذيب : محمد المهدي المجذوب، مطبعة التمدن ١٩٦٩م

١٩/ مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن محمد بن خلدون، مطبعة مصطفى محمد، دار الجيل، بيروت، ص ٥٦٤

٢٠/ في الأدب السوداني المعاصر:حسن أبشر الطيب، الدار السودانية الخرطوم ، ط١٩٧١،١م ص ١٢

٢١/ شعراء الوطنية في السودان : صلاح الدين المليك ، دار التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م ، ص ٢٦٩ ــ ٢٧١

٢٢/ شخصيات أفريقية : عبده بدوي، دار الوفاء للمطبوعات ، ص ١٤٨

٢٣/ تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان : مصطفى هدارة، دار الثقافة بيروت، ص ٣٤٩

٢٤/ ديوان حافظ إبراهيم : ص٣١٦

٢٥/ المرجع السابق : ص٣٠٢

٢٦/ الأدب العربي الحديث مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه ، ص ١٠٠

٢٧/ ديوان حافظ إبراهيم : ص٢٨٧

٢٨/ المرجع السابق : ص٣١١

٢٩/ المرجع السابق : ص١٦٥

٣٠/ مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث : ص٧٣

٣١/ ديوان حافظ ج١/٢٥٢

٣٢/ ديوان حافظ : ج١،ص٩٤

٣٣/ المرجع السابق : ص١٧٦

٣٤/ المرجع السابق : ص٢٠٢

٣٥/ مجلة الثقافة السودانية ، العدد١٩٧٦،١م

٣٦/ المرجع السابق : ص٤٥

٣٧/ ديوان نار المجاذيب ، ص٩٧

٣٨/ المرجع السابق : ص٣٦

٣٩/ المرجع السابق : ص٣٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٤٠/ المرجع السابق : ص٣٧

٤١/ المرجع السابق : ص٤١ـــــ٤٢

٤٢/ ديوان الشرافة والهجرة : محمد المهدي المجذوب، دار الجيل، بيروت، ط الثانية١٩٨٢م ص١١٨

٤٣/ المرجع السابق : ص١١٨

٤٤/ ديوان شحاذ في الخرطوم : محمد المهدي المجذوب، دار الثقافة للنشر والإعلام، ط الأولى ١٩٨٤م، ص١ـــــ٤

٤٥/ ديوان تلك الأشياء : محمد المهدي المجـــذوب، دار الجيـــل، بيـــروت، ١٩٨١م، ص١٧٠

المصادر والمراجع :

١/ الأدب الحديث تاريخ ودراسات: محمد بن سعد بن حسين، دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع،ج١، ط السادسة.

٢/ الأدب العربي الحديث مدارسه وفنونه وتطوره وقضاياه: د. محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل،
ط السابعة .

٣/ الأدب العربي المعاصر في مصر: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط السادسة.

٤/ تاريخ الشعر العربي الحديث : أحمد قبش ، (د، ت) .

٥/ تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان : مصطفى هدارة، دار الثقافة بيروت .

٦/ جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث : عبد العزيز الدسوقي، المكتبة العربية للتأليف، مصر، ١٩٧١م

٧/ حافظ وشوقي : د. طه حسين، مكتبة الخانجي، مصر، ط الثالثة ١٩٥٥م

٨/ ديوان تلك الأشياء : محمد المهدي المجذوب، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م

٩/ ديوان حافظ إبراهيم : حافظ إبراهيم، ضبط أحمد أمين، وأحمد الزين، إبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة، ط الثالثة ١٩٨٧م .

١٠/ ديوان الشرافة والهجرة : محمد المهدي المجذوب، دار الجيل، بيروت، ط الثانية١٩٨٢م .

١١/ ديوان شحاذ في الخرطوم : محمد المهدي المجذوب، دار الثقافة للنشر والإعلام، ط الأولى ١٩٨٤م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٢/ ديوان نار المجاذيب : محمد المهدي المجذوب، مطبعة التمدن١٩٦٩م.
١٣/ الرثاء عند حافظ إبراهيم : منصور بن عبد العزيز الخضيري، الرياض ١٤١٤ه، ط الأولى.
١٤/ شخصيات أفريقية : عبده بدوي، دار الوفاء للمطبوعات .
١٥/ شعراء الوطنية في السودان : صلاح الدين المليك ، دار التأليف والنشر، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م
١٦/ عقود الجمان شعر وشعراء : يحيي بن عبد الله المعلمي، دار المعلم للنشر ،١٤١٤هـ .
١٧/ في الأدب الحديث: عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، ج١ ، ط الأولى .
١٨/ قاموس علم الاجتماع : محمد عاطف غيث، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر،١٩٧٩م
١٩/ في الأدب السوداني المعاصر: حسن أبشر الطيب ، الدار السودانية الخرطوم ، ط١، ١٩٧١م
٢٠/ مجلة الثقافة السودانية ، العدد١٩٧٦،١م .
٢١/ مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن محمد بن خلدون، مطبعة مصطفى محمد، دار الجيل، بيروت .
٢٢/ مقدمة ديوان نار المجاذيب : محمد المهدي المجذوب، مطبعة التمدن ١٩٦٩م
٢٣/ ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت، ط الثالثة ١٩٤٩م

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٢٠٣٠
٢.	Abstract	٢٠٣١
٣.	المقدمة	٢٠٣٢
٤.	المبحثُ الأولُ: التعريفُ بالفقر.	٢٠٣٤
٥.	المبحثُ الثاني: التعريفُ بالعصرِ الحديث .	٢٠٣٦
٦.	المبحثُ الثالثُ: السيرةُ الذاتيةُ للشاعر حافظ إبراهيم .	٢٠٣٨
٧.	المبحثُ الرابعُ: السيرةُ الذاتيةُ للشاعر محمد المهدي المجذوب	٢٠٤٠
٨.	المبحثُ الخامسُ: قضيةُ الفقرِ في شعر حافظ إبراهيم .	٢٠٤٢
٩.	المبحثُ السادسُ: قضيةُ الفقرِ في شعرِ محمد المهدي المجذوب	٢٠٤٦
١٠.	الخاتمة :	٢٠٥٠
١١.	الهوامش:	٢٠٥١
١٢.	المصادر والمراجع :	٢٠٥٥
١٣.	فهرس الموضوعات	٢٠٥٧

تم بحمد الله